

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « معجم اللغة العربية » بدمشق (ج 2 م 47 / 1392 / 1972 م) كلمة حول هذا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي نعتبرها استدراما تنتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

وفى هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن أن تذكر هنا وتضاف الى ما عرفه أهل المغرب بالدار البيضاء مثلا ، الطحان ، والمعجان ، والمقرص ص 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي ص 362 وتقل تفسيرها عن المخصص لابن سيده فحسب ، ونسي تعريفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء كالقمر ، كما قال ابن الرومي .

3- أن ينظر في بعض كتب الأدب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، وحققت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبخ فيه الخبز » وأخذ منه الخبز المملول أو المليل ، ولم يرد شيء من ذلك في - معجم مكتب التعريب - ، وكان أخرى بأن ينقل هذا اليه وأن يذكر .

ولقد جاء في هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش ، جمع قوشة ، وهي الفرن أو التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشه » .

اعد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع أرباب الاختصاص في فنه وهو « مكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعا ، وسد ثغرة واضحة .

ولنا ملاحظة ورجاء نرجو أن يأخذ بهما المكتب ، وهو الا يكتفي بما فعل من خير وفير ، وإنما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائيا فيضيف اليه النقاط التالية :

1- أن يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها في كلماته والفاظه ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والعربية والفرنسية ، فقد رأينا أنه رجع كثيرا الى قاموس Belot ، والى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى أثرا لغيرهما من المعاجم .

2- أن ينظر في « قاموس الصناعات » لمؤلفيه محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر في جزأين عدد صفحاتهما 500 تقريبا ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

(1) انظر شرح ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

كانت تستوعب جميع المعاني والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الاولى بفضل ما اضفي عليها من الوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحى ، لانها قادرة على التعبير عن كل المعاني لو احسن استعمالها . هذا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحى ، من اهم الروابط التي تشد العرب بعضهم الى بعض . ويقول المفكر الالماني المشهور « فيشته » : « ان اللغة اهم الروابط التي تجمع بين افراد الامة » . .

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية فى كل بلد عربي ، لاصبح التفاهم بين ابناء الامة العربية اصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدد الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على أية حال ، بيد ان المسؤولين اتسبوا الى هذه الاخطار ، واذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالي فى البلدان العربية او نشط الى طفرات أبعد ، أمكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحى للعصر الحديث . . ان التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي وهن برفع مستوى التعليم ، الامر الذي يسهل التأكد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الاخرى من الشعوب التي لم تنل قسما كافيا من التعليم ، مع العلم ان النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل الى العمق اى الاحساس اللغوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له فى هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحى على قلة من الناس من العوامل الاليمة التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك ارى ان تعميم اللغة الفصحى ، يجب ان يشمل جميع ابناء الشعب ، فان الطبقة فى التعليم

عامة وتعليم اللغة خاصة ، اجنبية كانت ام اللغة الفصحى البعيدة عن الجماهير ، تؤدي الى تعقيد المشكلة وربطها بموضوعات سياسية واجتماعية .

وللوصول الى وضع لغوي طبيعي متمثل فى سيطرة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية فى شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد ان الخطوة الاولى ، هي رفع المستوى اللغوي فى المدارس بمعنى ان المعلم يجبر على استعمال اللغة الفصحى فقط فى حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكثار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحى وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحى ، وتأليف الاغاني بها ايضا .

ومما لا شك فيه ، ان مثل هذا التوجيه فى تعليم اللغة ، قد يترتب عليه ان يعود الناس على الفصحى ويستعملوها فى حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقي حدث فى معظم دول العالم ولا سيما فى الدول الاوربية كالمانيا وايطاليا .

ومن البديهي ان مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا . . والتي فقدت اهميتها وتركت الميدان للغة الفصحى التي ينشأ عليها كل مواطن منذ اول يوم يدخل فيه المدرسة .

اما اللغة الفصحى ، فستكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتطورة . فاللغة العربية الفصحى كنز لاهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر فى كولونبا بألمانيا الغربية - العدد 27 فى تموز 1972)